

الخصائص الفنية في الملحمة العربية؛ الإلياذة الجزائرية أمودجا

Technical Characteristics of the Arabic Épic; The Algerian Iliad as an Example

هاجر بلخيري *

Hadjer Belkhiri

الخطاب الصوفي في اللغة والأدب

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

University Algeria2 of Abo El Kacem Saadallah (Algeria)

belkhiri.hadjer@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/20

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة ملحمة من الملاحم العربية دراسة فنية، وقد وقع اختيارنا في هذه الدراسة على الإلياذة الجزائرية، فتبحث هذه الدراسة عن الخصائص الفنية التي تتسم بها الإلياذة الجزائرية، إضافة إلى سرد الأحداث التاريخية التي جعلت منها وثيقة تعكس واقعا عاشه المجتمع الجزائري عبر عصور. والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي: فيم تمثل الخصائص الفنية التي لجأ إليها الشاعر مفدي زكريا في بناء ملحمة الشعرية الإلياذة؟

إنّ هذه الدراسة كشفت عن قدرة فنية هائلة يتمتع بها الشاعر الجزائري مفدي زكريا، فاتسمت الإلياذة بخصائص جمالية فنية رائعة، خاصة الطواهر الأسلوبية البارزة في نص الإلياذة، مثل: التناص والتكرار والمعجم. الكلمات المفتاح: خصائص فنية، تكرار، تناص، مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ.

Abstract :

This paper seeks to study to study one of the Arabic epics in an artistic study. We have chosen the Algerian Iliad in this study. This study looks for the technical characteristics that characterise the Algerian Iliad, in addition to recounting the historical évents that made it a document that reflects a reality that Algerian society has lived through the ages.

The question posed in this research is: Thé artistic characteristics that poet Mufidi Zakaria used in the construction of his epic poetic poem The Iliad?

* هاجر بلخيري: belkhiri.hadjer@univ-alger2.dz

This study revealed that the Algerian poet Mufidi Zakaria immense artistic ability. The Iliad is characterised by remarkable asthetic and technical characteristics, especially the stylistic phenomena that are prominent in the text of the Iliad, such as the following: The Iliad is a document that reflects a reality that Algerian society has lived through the ages: Alliteration, repetition, and lexicon.

Keywords: Artistic properties, Repetition, Intertextuality, Mufidi Zakaria, Iliad of Algeria, History.



1- مقدمة:

التاريخ وعاء تشترك فيه مختلف المجالات؛ لأنه يمثل حضارة الأمة، هو ماضيها ومستقبلها، هو الحافظ لأخبارها وأيامها، وهو ذاكرة تحمل مجمل الأحداث التي تشهدها _ سيئة كانت أم حسنة _، لهذا يذهب الأدباء _ سواء كانوا شعراء أو كتابا _ إلى استحضار هذه المادة في العمل الإبداعي، بما تتوافق مع موضوع النص الأدبي الذي يطرحه الأديب، فمعظم الأعمال الأدبية تعكس لنا هذه النظرة التي يستدعيها الأديب في نصه من التاريخ.

أفضل جنس أدبي يعكس لنا الجانب التاريخي هي الملحمة، فالمحمة هي التي يخلد بها الأديب الحروب التي قامت بها أمته، ويخلد بها أبطالها الذين مروا عبر العصور، فهي تحفر هذه البطولات التي قام بها أبطالها في ذهن المتلقي، وتخلدها لأجيال متعاقبة، والجزائر من الأمم التي ضحت بالغالي والتقيس لتكون منارة علمية تنير مستقبل أمتها، فعاشت حروبا عديدة، وعرفت أبطالاً أكثر، فحق لها أن تخلد بملحمة مثل الملاحم التي عرفها اليونان والعرب، وهذا ما وقع في سبعينات القرن الماضي؛ حيث نظم شاعر الثورة الجزائرية ملحمة سماها "إلياذة الجزائر"، وذلك بطلب من مولود قاسم نايت بلقاسم من أجل ملتقى الفكر الإسلامي السادس المنعقد في الجزائر.

بناء على ذلك اخترنا في هذه الورقة البحثية دراسة الإلياذة الجزائرية دراسة فنية، وذلك من خلال البحث عن الخصائص الفنية التي تنسج بها الإلياذة الجزائرية، إضافة إلى سرد الأحداث التاريخية التي جعلت منها وثيقة تعكس واقعا عاشه المجتمع الجزائري عبر عصور.

والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي:

فما تتمثل الخصائص الفنية التي لجأ إليها الشاعر مفدي زكريا في بناء ملحمة الإلياذة؟
انطلاقاً من الإشكالية السابقة نخرج إلى أسئلة فرعية المتمثلة في:

_ من هو مفدي زكريا؟

_ لماذا نظم الشاعر إلياذة الجزائر؟ وما مضمون الإلياذة؟

_ ما هي أبرز السمات الفنية التي وُظفها مفدي زكريا؟ وفيما تتمثل دلالاتها في نص الإلياذة؟

_ ما هي الآراء النقدية التي قيلت حول الشاعر والملحمة؟

وحلّ هذه الإشكالية اتبعنا في منهجنا المنهج الأسلوبي، وذلك لرصد الظواهر الفنية البارزة في الإلياذة، والمنهج التحليلي لتحليل تلك العناصر بما يوافق دلالتها مع المواضيع التي عالجتها الإلياذة.

2- تعريف مفدي زكريا:

هو شاعر الثورة الجزائرية زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى¹، الملقب بمفدي زكريا، ولد يوم الجمعة 12 يونيو 1908م الموافق ليوم 12 جادى الأولى 1326² ببني يزقن في وادي ميزاب³، ولاية غرداية بالجزائر، يعود نسبه إلى جذور بني رستم مؤسسي الدولة الرستمية في تهبّرت في القرن الثاني للهجرة⁴، وكان جده الشاعر صالح بن يحيى على علاقة بالدولة العثمانية، وقد أبرم معاهدة حماية بقيت سارية المفعول طول فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر⁵، تلقى علومه الأولى في الجزائر على يد مجموعة من الأساتذة أمثال: الشاذلي المرالي، عبد العزيز الباوندي، صالح بن الأحمر⁶، لينتقل بعدها إلى تونس أين أكمل تعليمه هناك⁷، وقد ذكر الشاعر مرحلة تعلمه في حوار قام به مع الصحفي الأديب الجزائري بلقاسم بن عبد الله فيقول: « زاولت دراستي الابتدائية والثانوية والعالية بحاضرة تونس، منتقلا من مدرسة السلام والمدرسة القرآنية الأهلية، ثم الجامع المعمور "الزيتونة" والصادقية والخلدونية، ومعهد الآداب العليا بالعطارين »⁸، فدرس مفدي زكريا بالمدرسة الخلدونية الجبر، الحساب، الهندسة، التاريخ الإفريقي والجغرافيا، وتدرس في جامع الزيتونة كتب الأصول والتحو والبلاغة⁹، فالشاعر ذو ثقافة واسعة شملت مختلف العلوم، إضافة إلى ذلك تلقى القرآن الكريم في المدرسة القرآنية.

انخرط مفدي زكريا في عدّة حركات سياسية أثناء الثورة الجزائرية فالشاعر « ناضل بداية من الثلاثينيات في صفوف جمعية "طلبة شمال إفريقيا المسلمين" و"نجم شمال إفريقيا" و"حزب الشعب" و"الاتصار للحريات الديمقراطية" ثم "جبهة التحرير الوطني" »¹⁰، وأثناء ذلك التقى بعدّة شخصيات سياسية وعسكرية* كان لها نفوذ وسلطة ودور فعال في الثورة الجزائرية.

دخل إلى السجن خمسة مرات ثم هرب بعد ذلك سنة 1959، ولم يمنعه ذلك من قول الشعر الذي يعدّ سلاحا للأديب لمواجهة أعدائه، كتب عدّة أناشيد منها النشيد الوطني "قسا" ونشيد الحزب الرّسمي "فداء الجزائر"، وأسّس جريدة "الشعب" مع بعض المناضلين¹¹.

توفي مفدي زكريا إثر سكة قلبية أُلّت به في تونس 1977م، ونقل جثمانه إلى الجزائر أين دفن في مسقط رأسه بوادي ميزاب¹².

3- آثاره:

تمتع مفدي زكريا بيزاد علمي وفير مكّنه من تأليف العديد من الكتب في شتى الفنون الشعرية والتّثريّة، فكتب في القصة والمقال بأنواعه، ونظم الشعر وترك محاضرات وهي¹³:

- تاريخ الأدب العربي عبر القرون.
- تاريخ الصحافة العربيّة في الجزائر.
- تاريخ الفلكور الجزائري.
- أضواء على وادي ميزاب (دراسة تاريخية).

- نحو مجتمع أفضل، سبع سنوات في سجون فرنسا.
 — حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير.
 — في العيد (رواية).
 — عوائق انبعاث القصة العربية.
 — أما الدواوين الشعرية فهي:
 — اللهب المقدس.
 — تحت ضلال الزيتون.
 — من وحي الأطلس.
 — إلياذة الجزائر.
 4. إلياذة الجزائر:

نظم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا إلياذة الجزائر بطلب من مولود قاسم نايت بلقاسم، وكان ذلك من أجل ملتقى الفكر الإسلامي السادس المنعقد بالجزائر في 24 يوليو 1972، وفي ذلك يقول مولود قاسم نايت بلقاسم: « طلبنا من المناضل الكبير، الشاعر الملهم، شاعر الكفاح الثوري السياسي، وشاعر الكفاح الثوري المسلح، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية (...) أقول طلبنا منه أن يضع لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلها، ويشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم، مركزا على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبية، وعلى العهود الحضارية الزاهرة المتعاقبة، وحاضرنا ومستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا، ومقومات شخصيتنا وحصانتنا، وبناء مجد جديد لأمتنا »¹⁴، وتشكل الإلياذة « من (100) مقطع، وكل مقطع يتكوّن من (10) أبيات، كان يحتّمها بلازمة أشهر من نار على علم:

شغلنا الورى وملأنا التنا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر »¹⁵.

وقد ألقى الشاعر الإلياذة « في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم (نادي الصنوبر) يوم 13 جادى الثانية 1392 هـ (24 يوليو 1972) أمام أكثر من ألف طالب وأستاذ جامعي من القارات الخمس، وبحضور مسؤولين كثيرين، منهم الإخوة محمد شريف مساعدي، والدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، والمرحوم محمد بن يحيى، والعربي طيبي، كما حضر جزءا من إنشادها المرحوم الرئيس هواري بومدين، الذي استقبل مفديا في مكتبه بعد اختتام الملتقى، وعبر له عن إعجابه بالأثر الخالد الباقي »¹⁶.

وتضمّ الإلياذة خمسة أجزاء* هي¹⁷:

- الجزء الأول: تندرج تحته خمسة عشر مقطعا، تحدث فيه مفدي زكريا عن تاريخ الجزائر القديم.
 — الجزء الثاني: يضمّ ستة عشر مقطعا، تناول فيه المقاومة الجزائرية.
 — الجزء الثالث: يضمّ خمسة عشر مقطعا، عرض فيه أحداث الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال.

— الجزء الرابع: يتكون من تسعة عشر مقطعا، وصف فيه طبيعة الجزائر وعمرانها.

— الجزء الخامس: يضم خمسة وثلاثون مقطعا، ذكر فيه ثورة البناء بعد الاستقلال.

إلياذة الجزائر التي نظمها الشاعر هي شعر ملحمي حماسي تضمّن في دفتها تاريخ الجزائر قديما وحديثا، فهي تنطلق « من فجر التاريخ البشري إلى نهاية سبعينات هذا القرن وفضاءها أيضا الرقعة الجغرافية (الجزائر التي شهدت هذه الأحداث) »¹⁸، فهي تروي بطولة فرسانها وثوراتها الذين خلّدهم التاريخ عبر الزمن، وتسرد أحداث تاريخية للجزائر في العهد القديم والحديث والمعاصر، فتحدث عن « العهد الفينيقي، والروماني، والوندالي والبيزنطي)، ثم العصر الوسيط (الفتح العربي الإسلامي والتّويلات المستقلة في الجزائر)، وأخيرا العصر الحديث الذي يحمل في طيه موضوع الاحتلال الغاشم والمقاومة الشعبية والانتفاضة بمختلف أشكالها ودور العلم والحركة الفكرية ثم ثورة البناء بعد الاستقلال »¹⁹، فهي بمثابة وثيقة تاريخية.

فالموضوع الذي تضمّنته إلياذة الجزائر التي نظمها مفدي زكريا حقيقي كونها تستند إلى حقائق تاريخية، فهي ليست من نسج الخيال مثل إلياذة هوميروس أو الأوديسة التي نظمها أيضا هوميروس، فهذه الأشعار — وإن تغنت بحرب طروادة في الإلياذة التي نظمها — نجدها مغمورة بالأساطير والخيال الواسع، وقد ميّز مولود قاسم نايت بلقاسم بين إلياذة الجزائر وإلياذة هوميروس اليونانية قائلا: « ستمناها: إلياذة الجزائر، وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق الكبير العملاق: فبينما هذه الأخيرة، أي الإلياذة اليونانية، لا تروي إلّا أساطير، نجد الإلياذة الجزائرية قد خلّدت أمجادا حقيقية، وسطّرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدهر، لا من خلق الجن، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري فيالميدان »²⁰، فالفرق واضح بينهما من حيث المضمون والأحداث، وبالتالي يمكن اعتبار إلياذة الجزائر « محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والتركيز على أهم المحطات التاريخية قصد إجلاء أهم دلائلها، ومن هنا فإنّ أهم بطل فيها ليس إلّا وثنيا أو بطلا خرافيا أسطوريا جاء ليخلصها من كلّ محنة وجدت فيها ولكنها عبقرية الشعب الجزائري ودأبه على صنع تاريخه بنفسه. وهذا لا ينفي طبع الرجال التاريخيين الذين صنعوا هذا التاريخ »²¹، فالإلياذة جسدت البعد الديني والتاريخي والجمالي والوطني.

5- مضمون الإلياذة:

سبق وذكرنا أنّ الإلياذة تضمّ ألف بيت، سنحاول قراءة بعض النماذج لكلّ قسم:

5.1 القسم الأول: البعد الجمالي.

بدأ الشاعر مفدي زكريا في نظمه لإلياذته بوصف الجمال الطبيعي للجزائر، وذلك من خلال وصف « جميل الصنع الإلهي فيها، منتقلا بين ولايتها، وما تمتاز به كلّ منطقة عن غيرها من المناطق الأخرى جغرافيا وجماليًا »²²، فالشاعر يتغلغل بالمنظر الطبيعية الخلابة والساحرة والتي تعدّ جنة فوق الأرض، يقول:²³

جزائر يا مطلع المعجزات	ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمّة الرّب في أرضه	ويا وجه الصّاحك القسمات
ويا لوحة في سجلّ الخلو	د تموج بها الصّور الحالمات
ويا قصة بث فيها الوجود	معاني الشّمو بروع الحياة

ويا صفحة خط فيها البقا بنار ونور الجهاد والآبة

الشاعر في هذه الأبيات يصف جبال الجزائر، التي ألهمت مشاعره الملتبة بسبب شوقه وحنينه لبلاده الحبيبة؛ كونه كان مغتربا في بلاد المغرب²⁴، فألبسها صفات تقديسية كقوله: مطلع المعجزات، حجة الله، بسمه الرب، سجل الخلود، نور الجهاد، فهذه الألفاظ تدلّ على مكانة الجزائر عند مفدي زكريا، وهي مكانة تجليل وتعظيم، نظرا لما تشهده من مناظر طبيعية وآثار تاريخية جعلت من الجزائر محطة أنظار العالم، خاصة الثورة الكبرى التي شهدتها في القرن العشرين.

5.2 القسم الثاني: البعد التاريخي.

5.2.1 التاريخ القديم:

أشار الشاعر مفدي زكريا في إلياذته إلى تاريخ الجزائر القديم، فذكر مختلف الشخصيات التي كان لها دور فعال في بناء وتطور الجزائر عبر التاريخ، فتحدث عن ملوك الأمازيغ مثل: ماسينيسا وسيفاكس وتكفرناس وبعض قادتهم مثل: فراكسن، وأشار إلى العلماء الذين استوطنوا الأرض الجزائرية، مثل أوغستين، وتطرق للشخصيات التي شهدت الفتح الإسلامي والدويلات المستقلة التي مرت على الجزائر (الرستمية، الأغلبية، الفاطمية، الزيرية، الحمادية، الموحدية، الحفصية، المرينية، الزيانية) فيقول²⁵:

تلمسان، أنت عروس الدنيا وحلم الليالي، وسلوى الحب
بحسنك، هام أبو مدين وفي معبد الحب شاد القيب
وأجرى بك الروم ساقية بها أسكر الحسن بنت العنب
وفي مشور المجد أذن موسى وخلد زيان مجد العرب
وناغ فردوسك ابن خميس ويحيى بن خلدون فيك التهب
شغلنا الوري وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساويه من حنايا الجزائر

في هذا المقطع يذكرنا الشاعر بالمجد التليد للجزائر، فيذكر مجموعة من الأعلام كان لهم دور بارز في الجزائر القديمة، مثل أبو حمو موسى الثاني الزياني، وهو من حكام الجزائر في ظل حكم الزيانيين وأديب له ديوان شعري، وذكر مؤسس بني زيان يغمراسن بن زيان، والشاعر المشهور ابن خميس وهو من شعراء تلمسان، والمؤرخ التلمساني يحيى بن خلدون شقيق العلامة عبد الرحمن ابن خلدون.

5.2.2 التاريخ الحديث:

ذكر مفدي زكريا في إلياذته عدة أحداث وقعت في الثورة الجزائرية منها ذكره أحداث 8 ماي 1945²⁶:

ولم نس في أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس
طربنا مع الحلفاء اغترارا وقتنا نصفق في غير عرس
فكانوا مع الغدر، عوننا علينا ودرسا لقادتنا أي درس

وكانت مجازهم بسطيف وقائمة للشعب، دقات جرس

يوثق الشاعر في هذا المقطع من شعر الإلياذة أحداث 8 ماي 1945، والتي وقعت في مدينة سطيف وخرابة وقلمة، هذه الأحداث جاءت بعد دعم الشعب الجزائري للمحتل في الحرب العالمية الثانية (1939_1945)، وقبول المستعمر منح الجزائر استقلالها مقابل ذلك، إلا أنه تراجع عن وعده وقابل المعاملة الحسنة التي قدمها الشعب الجزائري بالمعاملة السيئة التي تجلت في مجازر 8 ماي 1945، فالشاعر وظف ألفاظ تحاكي الواقعة المريعة التي عايشها الشعب الجزائري، مثل: ضحايا المذابح، يوم نحس، مجازهم، فهذه الألفاظ تصوّر الهول الذي لحق بالشعب في ذاك اليوم، والدماء الملتصقة التي روت الأرض؛ حيث بلغ عدد الشهداء خمسة وأربعون ألف شهيد، وذكر الشاعر الساعات التي روت دماء الشهداء وهي الأماكن التي وقعت فيها الأحداث سطيف وخرابة وقلمة.

5.3 القسم الثالث: البعد الديني.

إن تأثر مفدي زكريا بالدين واضح وجلي في الإلياذة، فقد لجأ الشاعر إلى القرآن الكريم في الكثير من التراكيب، ونجد ذلك بأشكال التناسخ المختلفة، اقتباس (استشهاد) أو اقتراض أو إحياء، ومثال ذلك قوله ²⁷:

وسبح لله ما في السماوات، والأرض ملء شفاف شفا
كأنك تصغي بها للخلد، يل، وموسى الكليم، يرتل صحفا
كان مشافرها الحالمات، ت الضواحك، ألف يغازل ألفا!
كان البليدة للورود تفشي، حديث الغرام، فيزداد لهفا
كان حداثته العابقا، ت، نوافج مسك تضوعن عرفا

استحضر الشاعر في نصه آيات من الذكر الحكيم نذكرها: قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ²⁸، وقوله أيضا: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ²⁹، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ³⁰ وقوله أيضا: ﴿لَئِنْ هَذَا لَفِي الصُّفْهِ الْأَوَّلَى (18) صُفْهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)﴾ ³¹.

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات أن الله الملك والسلطان، وأن الخلق يسبح له في كل مكان، حتى الجبال كجبال شفا الموجودة في مدينة الورد (البليدة)، وكأن هذه الجبال مركز خلوة للإنسان الخاشع والمتعبد لله الواحد الأحد، فهذه المدينة معجزة من المعجزات التي سخرها الله — سبحانه وتعالى — للجزائر والجزائريين.

6. الخصائص الفنية للإلياذة:

تميّزت إلياذة الجزائر بخصائص فنية متنوعة نذكر منها:

6.1 التناسخ:

أخذ التناسخ مساحة واسعة في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكريا، وهذا يدل على سعة ثقافة الشاعر وتنوعها ومدى قدرته على استيعاب تاريخ الجزائر بكامله وإمكانية توظيفه في الإلياذة كاملا — وقد لاحظنا ذلك في البعد التاريخي للإلياذة —؛ حيث استحضر مفدي زكريا في شعره تناسبات مختلفة، دينية وتاريخية وأدبية، وتصور التناسخ في الإلياذة كان يقوم على أشكاله الثلاثة اقتباس (اجترار أو استشهاد)، اقتراض (امتصاص)، إحياء (رمز).

وتبرز كلّ عبارة من الإلياذة تناساً، ويكون ذات صلة وطيدة بالتص الغائب، لأنّه يرمي من خلال توظيفه إلى إثبات شيء بعينه، فتوظيفه لتاريخ الجزائر القديم والحديث له غاية واحدة، وهي التأكيد على عظمة هذا البلد الذي شهد عدّة دول وشخصيات حكمت بقبضة من حديد بدءاً من العهد الرّوماني إلى غاية العصر الحديث، فذكر شخصيات قديمة مثل: ماسينيسا وسيفاكس وبغمراسن وابن رستم وزيري وزيان أيّ حمو موسى الثاني والأمير عبد القادر والمقراني وغيرهم، واستدعى شخصيات غريبة أجنبية مثل: الجنيرال بيجار وبيجو وماسيو وديغول وغيرهم.

ولم يكنف الشاعر بذلك فاستدعى الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر كأحداث مجازر 8 ماي 1945 وأحداث هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 ومؤتمر الصومام 20 أوت 1956 وغيرها، ووقف على المدن التاريخية مثل: الأوراس، شرشال، الصومام وغيرها، وهذا التوظيف للجانب التاريخي يُبرز مدى قدرت الشاعر وتمكنه من الحفاظ على التراث التاريخي والفني والموروث الثقافي لهذه الأحداث التي ولت ولم يبق إلا الأثر.

أمّا توظيفه للتناص الديني فيعود لتشبعه بالثقافة الدينية التي نشأ عليها وتربى في محيطها، وهذا منذ نعومة أظفاره، وتبنتها في فكره وهو في الغربة بفعل التنقل بين بلدان المغرب العربي الإسلامية، وتجلّى التناص الديني في استحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وقصص الأنبياء، وأثر ذلك واضح في كلّ بيت من أبيات الإلياذة.

وتوظيفه للتناص الأدبي لا يختلف عن التوعين السابقين، فقد استدعى الشاعر التصوص الأدبية السابقة وأذاها في نصّه ليخرج نصّاً جديداً يُبرز قدرة الشاعر على توظيف ثقافته، فاستعان بالشعر القديم كاستحضاره شعر أيّ تمام وأيّ علاء المعري وأيّ نواس والبحري والمتنبي وابن الفارض وغيرهم، كما وظف عنوان الكتاب الشهير "المثل السائر" لابن الأثير، كما أشار إلى الشاعر اليوناني هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسة، وذكر شخصيات أدبية مثل: الحطيئة وابن هاني وابن خميس التلمساني وعائشة العمارية وابن عمارة الشريف، فالشاعر في إلياذته أثبت سعة ثقافته من خلال استحضاره لهذه التناصات الكثيرة التي أبانت عن قدرته في كيفية توظيفها وربطها مع مضمون الإلياذة.

6.2 التكرار:

التكرار ظاهرة من ظواهر المنهج الأسلوبي، وهو يندرج ضمن المستوى الأول المستوى الصوتي، وتجلّت الظاهرة في الإلياذة بشكل ملفت بمختلف أنواعها، تكرر الصوت وتكرار اللفظ وتكرار العبارة، والغاية من توظيفه البحث عن أثره في النص وعلى المتلقي لأنّه « يحدث تيار التوقع ويساعد في إعطاء وحدة للعمل الفني. ومن الأدوات التي تنبني على التكرار في الشعر: اللازمة، العنصر المكرر، الجناس الاستهلاكي، التجانس الصوتي، والأنماط العروضية »³²، وهذه العناصر تمثل أبرز مقومات التكرار في شعر الإلياذة، فقد وظفها مفدي زكريا في الإلياذة بطريقة ملفتة للنظر ممّا جعلها سمة أسلوبية بارزة.

وأهم تكرر بارز للعيان في إلياذة الجزائر تكرر اللازمة، ونعني بها « مجموعة من الأصوات أو الكلمات التي تعاد في الفقرات أو المقاطع الشعرية بصورة منتظمة. واللازمة على نوعين: اللازمة الثابتة وهي التي يتكرر فيها بيت شعري بشكل حربي، واللازمة المائعة: وهي التي يطرأ فيها تغيير خفيف على البيت المكرر »³³ قوله:

شغلنا الورى وملأنا التنا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

هذه اللازمة تم تكرارها في كلّ مقاطع الإلياذة، وفي كلّ مقطع أخذت دلالة إضافية بحسب الموضوع الذي تناوله، فكانت شحنتها مكثفة دلاليا.

6.3 الصدق الفني:

إنّ ما تضمّنته الإلياذة يشكل صدقا فنيا عبّر من خلاله الشاعر عن عواطفه ومشاعره الجياشة تجاه وطنه الحبيب، فشعر مفدي زكريا نابع عن إيمانه الصادق بالثورة التحريرية الكبرى وعظمتها، وما يؤكد ذلك خلع عليه لقب شاعر الثورة التحريرية من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ شعره على صالة وطيدة بالواقع، فهو يحمل أبعاد واقعية مثل: البعد التاريخي الذي حمل من خلاله تاريخ الجزائر قديما وحديثا، والبعد الوطني البارز من خلال ذكر تفاصيل تاريخية عن المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، والبعد القومي كحديثه عن قضية الوحدة المغاربية بين الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، وقد دعا لتحقيق ذلك باستمرار كونه يحمل في قلبه حبا لهذه البلدان، والتي يعدّها وطنًا واحدا لأنها احتضنته في غربته.

6.4 الالتزام:

ما نلاحظه على إلياذة الجزائر أنّ الشاعر مفدي زكريا التزم بقضايا أمته، وذلك على المستوى الوطني والقومي، الأول بحديثه عن القضايا الوطنية التي شغلت العديد من الأدباء سواء من الجزائر أو خارجها، فحأى الشاعر الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري إبّان الاستعمار الغاشم، وصوّر لنا الأحداث التي مرت بها الجزائر لأنّ نظمه للإلياذة كان يطلب من الدولة لتخليد الثورة الجزائرية، وهو التزم بذلك محاكيا إلياذة هوميروس شكليا، أما التزمه اتجاه القضايا القومية فدعته إلى إنشاء الاتحاد المغاربي العربي، أي الدعوة إلى إقامة وطن واحد يشمل الجميع.

6.5 التصوير:

رغم أنّ الإلياذة تسرد أحداث تاريخية للجزائر، إلّا أنّها لا تخلو من التصوير الفني؛ لأنّ الشاعر يلجأ إلى توظيفه قصد تقريب الفكرة للمتلقّي، فوقف الشاعر في نظمه للإلياذة على التصوير (الصّور البيانية) والمحسنات البديعية والأساليب البلاغية، التي تساعده في تجسيد الفكرة وبث الحياة لإقناع المتلقّي وتقريب المعنى منه وتوضيحه.

6.6 المعجم:

صمّت إلياذة الجزائر خمسة حقول معجمية، وهي:

— **معجم الطبيعة:** برز هذا المعجم في المقاطع الأولى من الإلياذة؛ إذ وظف شاعرنا مدن ومناطق جغرافية تنتمي إلى الجزائر، منها: ذكره مدينة تلمسان، جبال الأوراس، شرشال، البليدة، الصومام، قسنطينة، منطقة شفا، وغيرها.

— **معجم التاريخ:** تجلّى هذا المعجم كثيرا في الإلياذة، كون الشاعر كانت غايته من نظمه توثيق الأحداث التاريخية لبلاذنا الحبيبة، وذلك إبّان الذكرى العاشرة للاستقلال، فذكر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر، بدءا بتاريخها القديم مرورًا بمقاومتها المحتل الفرنسي وثورتها الخالدة الكبرى وصولًا للعصر الحديث.

— **معجم الثورة:** سبق وذكرنا أنّ الشاعر ذكر أحداث الثورة العظيمة في إلياذته، وهذا واضح في حديثه عن مقاومة الأمير عبد القادر ومقاومة لالة فاطمة نسومر ومقاومة الأمير خالد، وذكره مجازر 8 ماي 1945 وأحداث هجومات

الشّال القسنطيني 20 أوت 1955 ومؤتمر الصومام 20 أوت 1956 والإضراب العام وقّع المهاجرين في فرنسا وغيرها، وحديثه عن سجن ببروس، وذكره للأحزاب السياسية والجمعيات التي وجدت في الثورة كحزب نجم شال إفريقيا وحزب الشعب والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وجمعية العلماء المسلمين.

— معجم الدين: وظف الشاعر المعجم الديني في جلّ الإلياذة، مثل: الخلود، الجنة، السماوات والأرض، الزّب، الخليل، إبراهيم، موسى، عيسى، الصحف، كلم الله، إرم، ذات العباد، ثمود، عاد، نوح، أخرجت الأرض أثقالها، عجاف، وغيرها.

— معجم الأدب: استعان الشاعر بنصوص أدبية سابقة في نظمه لإلياذته، فأخذ عن عدّة شعراء وأدباء أمثال: أبي تمام وأبي علاء المعري وأبي نواس والبحري والمتنبي وابن الفارض وابن الأثير وغيرهم، واستحضر في شعره رموزا أدبية مثل: هوميروس والحطينة وابن هاني وابن خميس التلمساني وعائشة المعارية وابن عمارة الشّريف، وغيرهم.

6.7 الأسلوب واللغة:

تميّز أسلوب الشاعر بالبساطة والوضوح، فاستعمل لغة مفهومة قريبة من لغة المجتمع الجزائري، فالألفاظ التي وظفها جولة معبرة لا تحتاج إلى بذل جهد في فهمها، والمعاني التي طرحها في الإلياذة متداولة في التاريخ الجزائري قديما وحديثا، ووصفه الطبيعة والأماكن والمدن الجزائرية واستحضار الموروث الديني، كلّ ذلك مواضيع معروفة لا تحتاج إلى معاجم للبحث عنها وعن مضامينها لرفع اللبس.

7. الآراء النقدية حول الكتاب والانتقادات التي وجهت للشاعر:

يذهب مولود قاسم نايث بلقاسم إلى وصف الإلياذة بقوله: « أجمل وأكمل صياغة لتاريخها، بالأمها وآمالها، بانتكاساتها وانتصاراتها، كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمم، إذ هو عقلها (...) وليس هذا من باب التغني بالماضي والاكشفاء بما تركه لنا الأجداد، بقدر ما هي عملية إبراز الأسس الأصيلة للبناء عليها في انطلاقتنا الجديدة »³⁴، وهي شهادة تثبت أهمية ودور ومكانة الإلياذة باعتبارها وثيقة تاريخية لتاريخ الجزائر.

وتشير الأستاذة شميصة الحلوي إلى مكانة الشاعر وقمة شعره بقولها: « في شعره إبداع في الصوغ امتاز به على أكثر أقرانه، نظم الشعر في أثناء الدراسة، وعندما كانت الجزائر تغلي وتتحفز، وقادة الحركة الوطنية يوقدون روح الثورة فيها، ضرب مفدي على وتيرتهم، فكان شاعر الوطنية والمناسبات الخطيرة، وأعلنت الثورة (أول نوفمبر 1954) فكان شاعرها، وطار صيته واشتهر شعره »³⁵، فتكمن أهمية شعر مفدي زكريا من خلال أشعاره الثورية التي أصبح يتغنى بها الشعب.

وذهبت فتيحة باريك إلى استحقاق الشاعر مكانة مميّزة كونه « شاعرا فذا، فقد أدلى بدلوه في كتابة التاريخ الوطني بأسلوب جميل، وبتركيب لغوية بديعة، فكانت كتاباته الشعرية تلخيصا لمسيرة الكفاح والتضال، ولعلّ الإلياذة التي خط حروفها من ذهب أكبر مثل على العمل الأدبي الممتاز »³⁶، فاثبت الشاعر عن جدارة مكانته الأدبية في الساحة العربية عامة والجزائرية خاصة.

ويذكر حسين خمري أنّ إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكريا هي « محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والتركيز على أهم المحطات التاريخية قصد إجلال أهم دلائلها، ومن هنا فإنّ أهم بطل فيها ليس إلها وثنيا أو بطلا خرافيا أسطوريا

جاء ليخلصها من كلّ محنة وجدت فيها ولكنها عبقرية الشعب الجزائري ودأبه على صنع تاريخه بنفسه. وهذا لا ينبغي طبعاً الرجال التاريخيين الذين صنعوا هذا التاريخ»³⁷، وفعلوا هي تعدّ وثيقة تاريخية آرخ من خلالها الشاعر تاريخ الجزائر القديم والحديث والمعاصر، وهو ما يختلف مع مضمون إلياذة هوميروس اليونانية، هذه الأخيرة تقوم على الأساطير الخرافية، وهذا ما ميّزه مولود قاسم نايت بلقاسم بين إلياذة الجزائر وإلياذة هوميروس اليونانية قائلاً: «سمّيناها: إلياذة الجزائر، وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق الكبير العملاق: فبينما هذه الأخيرة، أي الإلياذة اليونانية، لا تروي إلا أساطير، نجد الإلياذة الجزائرية قد خلّدت أجياداً حقيقية، وسطّرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدهر، لا من خلق الجن، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان»³⁸، والفرق بينهما واضح وجليّ.

ويرى سمير نور الدين دردوران «إلياذة الجزائر، ديوان شعر، آرخ لتاريخ الجزائر، واجتهد في إزالة ما علق به من شوائب، في صورة ملحمة تنبع حركة وأحاسيس جياشة»³⁹، فالشاعر يضيئ على الديوان صفة الملحمة.

8. الخاتمة:

عرف الأدب الجزائري ملحمة تاريخية من نظم شاعرها الثوري مفدي زكريا، التي نظمها من أجل ملتقى الفكر الإسلامي السادس المنعقد بالجزائر في 24 يوليو 1972، وذلك بطلب من مولود قاسم نايت بلقاسم، وقد تضمنت الإلياذة ثلاثة أبعاد: البعد الجمالي الفني، البعد التاريخي، البعد الديني.

إنّ هذه الدراسة كشفت عن قدرة فنية هائلة يتمتع بها الشاعر الجزائري مفدي زكريا، فاتسمت الإلياذة بخصائص جمالية فنية رائعة، خاصة توظيف الشاعر لسمات أسلوبية بارزة وهي:

— ظاهرة التناص: والتي كانت زاخرة ومتنوعة في إلياذة الجزائر، فاستحضر الشاعر أحداث تاريخية في عصور مختلفة، كما وظف القرآن الكريم والأحاديث النبوية، واستعان بنصوص أدبية خدمة لنص الإلياذة.

— التكرار: الذي يعدّ سمة أسلوبية بامتياز، خاصة تكرار اللازمة في كلّ مقطع.

— التصوير: بحيث لا يخلو عمل أدبي من الصور الفنية، كونها تجسد الحالة التي يعيشها المجتمع في وقت مضى، فهو يقرب صورة المجتمع في مرحلة ما باستعمال التصوير.

— الالتزام: هي ظاهرة حديثة تعني التزام الأديب بقضايا أمته ووطنه، ونجد ذلك مع الشاعر مفدي زكريا في ملحمة، وهذا جلياً من خلال القضايا الوطنية والقومية التي عرضها.

— المعجم: وظّف الشاعر المعجم في إلياذته، ونجد المعجم عند مفدي زكريا أنواع، بين الطّبيعة، التاريخ، الدين، الأدب.

— الأسلوب: أسلوب الشاعر سهل وواضح وبسيط لا يحتاج إلى توضيح.

هوامش:

¹ - ينظر: بوجرة أحلام أميرة، 2021، مطبوعة بيداغوجية لمقياس الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر، ص 30.

- ² - ينظر: مرتضى فرح علي وداعة، 2022، أسلوب التداء في إلياذة الجزائر (داسة نحوية بلاغية)، اللغة والأدب، الجزائر، مج 19، ع 34، ص 03.
- ³ - ينظر: عادل نويض، 1980، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، بيروت، مؤسسة نويض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ص 309.
- ⁴ - ينظر: آسيا تيم، 2008، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دط، الجزائر، دار المسك، ص 157.
- ⁵ - ينظر: ربحانة كردوسي ومروة حمري، 2020، النزعة البطولية في شعر مفدي زكرياء "الإلياذة أنموذجا"، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ص 60.
- ⁶ - ينظر: نفسه، ص 62.
- ⁷ - ينظر: محمد الهادي السنوسي الزهراي، 1926، ط 1، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، ص 151 وما بعدها.
- ⁸ - حسن فتح الباب، مفدي زكريا، 2010، شاعر الثورة الجزائري، ط خاصة، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ص 27_28، نقلا عن: ربحانة كردوسي ومروة حمري، النزعة البطولية في شعر مفدي زكرياء "الإلياذة أنموذجا"، مرجع سابق، ص 62.
- ⁹ - ينظر: ربحانة كردوسي ومروة حمري، النزعة البطولية في شعر مفدي زكرياء "الإلياذة أنموذجا"، مرجع سابق، ص 62.
- ¹⁰ - ينظر: بوجرة أحلام أميرة، مطبوعة بيداغوجية لمقياس الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 30.
- * من بين هؤلاء الشخصيات الشيخ عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري الوطني.
- ¹¹ - ينظر: بغداد عبد الرحمن، صور التناسل الديني في الخطاب الشعري الجزائري إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء أنموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص 44.
- ¹² - ينظر: آسيا تيم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، مرجع سابق، ص 163.
- ¹³ - ينظر: نبيلة لرباس، 2023، مفدي زكرياء مسيرة نضال و كفاح خلال الفترة الاستعمارية، مجلة رؤى للأبحاث والدراسات المتوسطة، مج 4، ع 2، ص 44_45.
- ¹⁴ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1987، ص 09.
- ¹⁵ - شيمسة خلوي، مظاهر التناسل التاريخي في الخطاب الشعري لدى مفدي زكريا _ إلياذة الجزائر أنموذجا _، مجلة الحضارة والآداب الإسلامية، مج 13، ع 27، 2021، ص 85.
- ¹⁶ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مرجع سابق، ص 12.
- * ويذهب بعض الدارسين إلى تقسيمها إلى قسمين: الجزء الأول في وصف الطبيعة، والآخر في تمجيد الثورة المضفرة.
- ¹⁷ - شيمسة خلوي، مظاهر التناسل التاريخي في الخطاب الشعري لدى مفدي زكريا _ إلياذة الجزائر أنموذجا _، مرجع سابق، ص 85.
- ¹⁸ - بختة تاحي، 2019، الخطاب الشعري الجزائري "مدونة من إلياذة الجزائر" مفدي زكرياء أنموذجا، مجلة أدبيات، مج 1، ع 2، ص 60.
- ¹⁹ - كوثر فراح، التناسل، 2021، ورهان الترجمة _ إلياذة الجزائر أنموذجا _، مجلة المدونة، مج 8، ع 4، ص 4061.
- ²⁰ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مرجع سابق، ص 12.
- ²¹ - حسين حمري، 2001، الظاهرة الشعرية العربية _ الحضور والغياب دراسة _، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، ص 88.
- ²² - ناصر الدين إبراهيم وبن أيوب حمزة، إلياذة الجزائر دراسة تحليلية تاريخية، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، مج 04، ع 07، 2022، ص 22.
- ²³ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مرجع سابق، ص 19.
- ²⁴ - ينظر: ناصر الدين إبراهيم وبن أيوب حمزة، إلياذة الجزائر دراسة تحليلية تاريخية، مرجع سابق، ص 22.

- ²⁵ - نفسه، ص33.
- ²⁶ - نفسه، ص66.
- ²⁷ - نفسه، ص34.
- ²⁸ - الحديد، آ01.
- ²⁹ - النساء، آ125.
- ³⁰ - النساء، آ164.
- ³¹ - الأعلى، 18_19.
- ³² - موسى رابعة، 1990، التكرار في الشعر الجاهلي _ دراسة أسلوبية _، مؤتة للبحوث والدراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية،
- مج5، ع1، ص161.
- ³³ - موسى رابعة، التكرار في الشعر الجاهلي _ دراسة أسلوبية _، مرجع سابق، ص162.
- ³⁴ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مرجع سابق، ص15_16.
- ³⁵ - شمسية خلوي، مظاهر التناسل التاريخي في الخطاب الشعري لدى مفدي زكريا _ إلياذة الجزائر أنموذجا _، مرجع سابق، ص84.
- ³⁶ - فتحة باريك، دت، دلالة الاستفهام بالهمزة في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكريا، مجلة الحقيقة، ع39، ص595.
- ³⁷ - حسين حمري، الظاهرة الشعرية العربية _ الحضور والغياب دراسة _، مرجع سابق، ص88.
- ³⁸ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مرجع سابق، ص12.
- ³⁹ - سمير نور الدين دردور، 2019، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، مؤسسة هندواي، دب، دط، ص16.

10. قائمة المراجع:

(1) الكتب:

- 1_ آسيا تميم، 2008، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دط، الجزائر، دار المسك.
- 2_ حسن فتح الباب، مفدي زكريا، 2010، شاعر الثورة الجزائري، ط خاصة، الجزائر، دار الرائد للكتاب.
- 3_ حسين حمري، 2001، الظاهرة الشعرية العربية _ الحضور والغياب دراسة _، دط، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 4_ سمير نور الدين دردور، 2019، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، دط، دب، مؤسسة هندواي.
- 5_ عادل نويض، 1980، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت، مؤسسة نويض الثقافة للتأليف والترجمة والنشر.
- 6_ محمد الهادي السنوسي الزهراي، 1926، ط1، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دب، المطبعة التونسية.
- 7_ مفدي زكريا، 1987، إلياذة الجزائر، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

(2): المجلات:

- 1_ بختة تاحي، 2019، الخطاب الشعري الجزائري "مدونة من إلياذة الجزائر" مفدي زكريا أنموذجا، مجلة أدبيات، مج1، ع2.
- 2_ شمسية خلوي، 2021، مظاهر التناسل التاريخي في الخطاب الشعري لدى مفدي زكريا _ إلياذة الجزائر أنموذجا _، مجلة الحضارة والآداب الإسلامية، مج13، ع27.
- 3_ فتحة باريك، دت، دلالة الاستفهام بالهمزة في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكريا، مجلة الحقيقة، ع39.

- 4_ كثر فراح، التناس 2021، ورهان الترجمة _ إلياذة الجزائر أمودجا _، مجلة المدونة، مج8، ع4.
 - 5_ ناصر الدين إبراهيم وبن أيوب حمزة، 2022، إلياذة الجزائر دراسة تحليلية تاريخية، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، مج04، ع07.
 - 6_ نبيلة لرباس، 2023، مفدي زكرياء مسيرة نضال وكفاح خلال الفترة الاستعمارية، مجلة رؤى للأبحاث والدراسات المتوسطة، مج4، ع2.
- (3) الرسائل الجامعية والدوريات:
- 1_ بوحجرة أحلام أميرة، 2021، مطبوعة بيداغوجية لمقياس الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر.
 - 2_ ربحانة كردوسي ومروة حمري، 2020، النزعة البطولية في شعر مفدي زكرياء "الإلياذة أمودجا"، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، قلمة، الجزائر.